كتاب النبوغ

« ان الفرد المتطرف الثائر على مظلمة خير من مليون بشري راقد على مذلة »

صدق الرياشي في قوله هذا لان الرقود علامة من علامات الموت لاسيما ان كان على مذلة والثوران مظهر من مظاهر الحياة ولاسيما ان كان لدفع مظلمة — وهل تستوي الظلمات والنور ؟

فليبب الرياشي اذاً على ما يحسبون فيهِ من الثوران والتطرف هو خيرٌ من مليون بشري راقد وهل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون ؟

وان كتابهُ الحديث « النبوغ » هو نموذج عقلهِ بل هو برهان على نبوغهِ :

لما فيهِ من علم دقيق ورأي صائب

لما فيهِ من جرأة ادبية ترفع كل غشاوة بين فكر الكاتب وقلمهِ

لما فيهِ من سلاسة التعبير والتجدد في الانشاء

لما فيهِ من الجمع بين فوائد العلم والتربية الاخلاقية والفكاهة

كنت اقرأ هذا الكتاب والإعجاب آخذ من نفسي مأخذهُ والسرور مفعم فؤادي . ولكن كلة زودني بها المؤلف حينما ناولني تأليفهُ كانت تشغلني عن الاسترسال في لذتي وأنا اتلوهُ :

— هلم الى الانتقاد

تلك هي الجملة التي القاها علي فجعلني وأنا اقرأ كن توهم أن في الكوثر شوكاً فانصرف عن التنعم في مقامهِ الى التحري عما توهم

— فاذا عساي ان انتقد ؟

— ليس في الكوثر شائبة ولكن ربما ان النية التي عقدتها امتثالاً للمؤلف صورت لي مظان : علمية من موضوع الكتاب وتاريخية وردت على سبيل الامثلة. اذا أبديتها فما هو الاَّ على نية (اضرب الرأي بالرأي يظهر الصواب)

***

بيّن لبيب افندي دلالة المظاهر الجسمية على القوى العقلية والاخلاقية وكيف تتميز في علم الفراسة أخلاق الناس وصفاتهم بحسب هيئاتهم حتى انهُ ليفرق بين

النابغ والمجرم . وقسم الرأس الى ثلاثة اقسام : فالعلوي للدلالة على القوى العقلية والوسطي على القوى الادبية والسفلي على القوى الطبيعية وقال : انهُ اذا جمعت سلامة الدماغ وتناسبهُ الى شرائط المؤثرات المساعدة والبحث والعمل والتفتيش وحب التفوق ظهر النبوغ

وذهب الى انهُ قد لا يتماثل النوابغ في تركيب هياكلهم وانما يتماثل أكابرهم وامراؤهم وملوكهم في طبائعهم وتقاطيع وجوههم كما انهُ لما كان فقدان التناسب والانتظام في مناطق الوجه فقدانًا للتناسب والانتظام في قوى العقل فدماغ المجرم شاذٌ في تركيبهِ وتناسب مناطقهِ

وسأل من ثم عن إمكان ايجاد النبوغ فنيًّا فقال :

« ايمكن الرجل ان يقول : ان ابني او حفيدي سيكون نابغةَ اكتشاف وشعرٍ وفن وخطابة ورياضيات كما يمكن العالِم في علم الحيل (الميكانيك) والساعاتي ان يقولا اننا سنوجد ساعة ويوجدانها ؟ »

فاجاب على ذلك بالايجاب قائلاً « اذا رغب المرء ان يكون من نسلهِ احد النابغين في فن من القوى المختصة بهِ وانتخب امرأة تميل الى ذلك الفن وراعى شروط الزواج والزرع واهمها الحب المتبادل والصحة واجتناب كل من التزاوج بين الاقرباء والابتعاد عن الزرع في اثناء الاضطراب الجسمي فاذا تكرر هذا الى الجيل الرابع كان لهُ النابغة الذي يبحث عنهُ »

***

تلك هي خلاصة من موضوع الكتاب وهو لعمري موضوع مفيد تحتاج لغتنا اليهِ وانا وان كنا نوافق على ما ذهب اليهِ موافقة إجمالية ولكن لنا ملاحظات خاصة فرعية نبديها باختصار

لا ينكر ما قالهُ المؤلف : ان الوجه مرآة الدماغ وانهُ يُرى في منظار علم الفراسة بعض ما يخفى على العين المجردة ولكن لمَّا كان النبوغ في الخير اوفي الشر لا يحصل عن الارث فحسب بل تؤثر احوال العالم العامة واحوال الشخص الخاصة على الانسان في حياتهِ فترسخان بعد التغالب مع طبيعتهِ جغرافية مستقبلة لم يعد لعلم الفراسة ان يميز بين النابغ وسواهُ ولا ان يعرف المجرم . فكم في العالم من المجرمين وهم على احسن تناسب في مناطق الوجه ؟ وكم فيهِ من النابغين فاقدي هذا

التناسب؟ بل كم فيهِ من المجرمين الذين تغلبت الظروف على فطرتهم الطيبة فقلبتهم؟ وكم فيهِ من غالبتهم الايام فأيست نبوغهم الفطري وغلبتهم

ولذلك لم يعد يصح القول اينما بتماثل اكابر النوابغ في طبائعهم وتقاطيع وجوههم بدليل ما جاء في كتاب النبوغ نفسهِ من تباين رسوم بعضهم فاين صورة شكسبير من فيكتور هيغو؟ بل كم هو الفرق في طبائع كل منهما حسبما يشير اليهِ التاريخ فضلاً عن الرسم

اما ما قد يرد علينا هنا من ان المؤثرات الذاتية في الحياة تعمل على تطوير الشكل حتى ان دماغ المجرم مثلاً يمسي شاذاً في تركيبهِ الى ان يؤثر على الوجه فهذا فيهِ بعض الحق ان أن هذه المؤثرات مهما اشتدت فلا تقلب الحقائق ولا تبدلها تبدلاً كبيراً وانما يلبث بالاكثر التأثير الاول للوراثة

واما ما رواهُ من خبر دروين وانهُ « بعد ان ساح واختبر وعاد الى بيت ابيهِ نظر اليهِ ابوهُ وتأمل وقال : ان شكل رأسهِ قد تغير» ففي هذا مبالغة

هذا وانا نرى غير رأيهِ اينما من جهة تقسيم الوجه الى ثلاثة اقسام : فنعتقد انهُ وان صح اختصاص القسم العلوي من الوجه بالقوى العقلية فلا يصح ان نخصص القسم الوسطيّ للادبية والسفلي للطبيعية بل نعتقد ان دلائل القوتين الادبية والطبيعية تجتمع في سائر الرأس معاً بلا استثناء

افلا ترى ما يفيد كل من شكل الجبهة والذقن من الاحوال الادبية بينا ان الجبهة في اعلا الرأس والذقن في اسفلهِ ؟ ثم ألا ترى ما يشير اليهِ كل من العين والاذن والانف من الخصائص الطبيعية وهي في المقام الوسطي من الوجه ؟

وتخالف اخيراً المؤلف في قولهِ بامكان ايجاد النوابغ فنياً

النوابغ هم فلتة من فلتات الازمان يخلقون على مواهب ممتازة ويرافقهم الحظ في جهادهم الحيوي فيعدون في مصاف العظماء فهم اذاً ابناء الطبيعة وابناء التربية وابناء التوفيق بل هم ابناء الظروف

فاذا تكلفنا في ايجاد هؤلاء النوابغ فمبتدأ نحاول. عبثاً نحاول. لان المؤلف يقول بان الاخلاق والاستعدادات تتوارث حتى من الاجداد البعيدة جداً. فكيف يمكن بعد استقراء حال الاجداد كافة

ثم اذا امكن ذلك فلا نلقى عائلة خلت في سلسلة انسابها من الاخيار والاشرار

معاً . وانّى لنا من ثم ولو لدنا للعائلات التي توسمنا فيها تغلب الخير ان نؤثر على ما يرثهُ الولد منها وهي لا تخلو من افراد غير كاملين

وعبثاً نحاول والمؤلف يقول بتأثير عواطف الوالدين المتبادلة على المولود وهل يمكن النفوذ على العواطف وهي مرتبطة كل الارتباط باحوال عامة وخاصة

وعبثاً نحاول والمؤلف يقول بتأثير الظروف على مجرى الانسان فاذا تمكنا فرضاً من اعداد المعدات الوراثية واستطعنا ان نتغلب على التأثيرات الطبيعية التي تفعل في العواطف الزوجية فهل في طاقتنا أن نستخدم الظروف

على انا لو حصرنا بحثنا في امر الوراثة لوجدنا التفاوت الكلي كثيراً بين اخوة عاش والداهما عيشة واحدة من التحاب والصحة . والسر في ذلك مرتبط باسباب حادثة وقديمة عرف بعضها واستتر البعض الآخر

فعلى ذلك كان الاولى بالليب ان يجعل عنوان بحثهِ هذا «كيفية تحسين النسل» بدلاً من « ايجاد النبوغ فيهِ »

***

تلك هي ملاحظاتنا البسيطة على الكتاب من حيث موضوعهُ وابسط منها ملاحظاتنا عليهِ من جهة ايراداتهِ بعض الامثلة التاريخية :

فقد أورد ليب افندي « تيمورلنك » بمعرض المثال على الهمجية وما « تيمورلنك » الاّ نابغة لا يقلّ عن الذين أوردهم المؤلف استعداداً ورغبةً في المدنية ؟ فقد قال عنهُ « ليون كاهن » بانهُ عصاميّ سياميّ داهية زمانهِ وعالم الّف كتاباً سماهُ « تزويقات » باللغة التركية الجاكاطائية

ووروى « كلافيجو » مندوب اسبانيا في حاضرتهِ أنهُ جلب معهُ الى سمرقند من البلاد التي فتحها من الصاغ ما ضاقت بهم مآويها فعسكرهم في الباتين والمقابر التي حولها

ولكن ما شاع عن همجية تيمور فهو أثر عن نفوذ السياسة على التاريخ فان عداوة تيمور للعثمانيين وأسره ملكاً من أعظم سلاطينهم وهو بيلدرم بايزيد (٨٠٧ هـ — ١٤٠٤ م) دفعا مؤرخيهم لوصفهِ بكل نقيصة عوراء . ولمقامهم العظيم وقتئذٍ في العالم السياسي ذهب قولهم مذهب الحقائق حتى لدى فريق من الاوربيين

هذا وقد لاحظت أيضاً على اللبيب جملة لها علاقة بالسيدات اذ قال مخاطباً المرأة :

« فأشور واليونان وروسة والعرب ما تسامين وعظمن الاَّ بنهضتك وما تساقطن وانحدرن الاَّ بانحطاطك . وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وايطاليا ما عرفن حقوق الانسان ومجدن العدل والحق وعملن بهما الاَّ بهديك لذلك كنتِ ميزان رقيّ البشرية وانحطاطها منذ صلحت الارض للحياة ولا تزالين الميزان الى انقضاء الدهر »

فحيي الله اللبيب لتقديره الجنس اللطيف قدرهُ واذا لم يكن التاريخ مصداقاً لقولهِ فما التبعة الاَّ على الرجل فالمرأة باعتبار الامم السابقة كانت متاع الرجل بل لعبتهُ لا مدخل لها في الشؤون الاجتماعية ولا أثر في عوامل المدنية الاَّ ما تدر والنادر لا يقاس عليهِ

« المرأة تابعة لوالدها في طفوليتها ولزوجها في شبابها فاذا مات زوجها تبعت أبناءها واذا لم يكن لها أبناء تبعت اقارب زوجها لانهُ يجب عدم استقلال المرأة بنفسها في حال من الاحوال ! »

تلك هي قاعدة شريعة « مانو » البرهمية قامت على أمثالها شرائع الامم في الشرق والغرب على تفاوت في الاستئثار ؟ فجوز فريق بيع المرأة وسمح آخرون بتقديمها لضيفهم وذهب بعضهم الى أحقية التصرف بها بعد موتهِ في وصيتهِ في جملة أمتعتهِ كما ان منهم من ركنوا الى اعتبارها لجود النسل . فالمرأة التي هذا حالها ماذا ينتظر منها في التأثير على المدنيات السابقة ؟

— لا شيء

اجَ لا شيء بل كانت تلك المرأة التي تعول على جمالها فحسب مدعاة لسقوط الامم حينما يتيسر لها التسرب الى ساحة السياسة والقبض على ناصية الامة . وما الذنب مع ذلك الاَّ ذنب القاضي عليها بالحرمان

— قل لي يا لبيب اي شيء كان للمرأة في ايجاد عظمة الحضارة العربية

— لا شيء

ولا شيء ايضاً لبقية نساء الامم التي اوردتها . فان اليونان في اثناء ازدهار حضارتهم كانوا يعزلون النساء عن الهيئة الاجتماعية بل كانوا يمنعونهن من العلوم

ولاسيما العالية الى حد انهُ لم تمكن الشغف في العلم من الآنستين اكسيوته ولاسته في في القرن الثالث ق . م لبستا لباس الرجال لتحضرا دروس افلاطون متخفيتين

وكذلك فلننقل عن التمدن الحديث فانهُ نشأ وترعرع واعلن حقوق الانسان ولم يكن للمرأة تأثير في عوامل عظمتهِ اللهم الاّ ماكان من قبيل الفرديّ النادر بل هو اعلن في اثناء ذلك المساواة بين البيض والزنوج وحرر الارقاء ولكنهُ استمر الى امد غير بعيد ينكر مساواة المرأة وتحريرها واشراكها في الشؤون المدنية

اليكم نابوليون الذي قال عنهُ المؤلف « أقرب رأس الى الكمال وافضل دماغ يعرض للبحث انما هو رأس نابوليون » فهو كان يخاطب النساء فيقول لهن على قرب عهدهِ من اعلان حقوق الانسان :

« وم تشتكين بعدُ سيداتي ؟ — أفلم تعترف بان لكن روحاً ؟ وتعلمن بانهُ ثم رجال ترددوا بالاعتراف لكنَّ بذلك ؟ !

« تردن المساواة ؟ — ان هذا لجنون ! . فالمرأة هي ملكنا ولسنا ملكاً لها ذلك لانها هي التي تلد والرجل لا يلد فهي اذاً ملكهُ مثلما ان الشجرة المثمرة ملك البستاني ! »

على اننا وان عارضنا المؤلف فيما نسب للمرأة من التأثير على المدنيات السابقة وفاء للتاريخ فاننا لا ننكر ماكان وما سيكون للهيئة الاجتماعية من النفع بعد ان اصبح شطرها اللطيف عاملاً غير خامل

وعلى ذكر نابوليون فقد لاحظنا على المؤلف ذهابهُ مذهب القائلين بانهُ اعظم رجل في التاريخ نلاحظ ذلك عليهِ خاصة لما صرح بهِ في مواضع متعددة من كتابهِ من مثل مقالاتهِ « صنم خريمتو » و « على منبر الخطابة » و « الوظيفة والفتى » بأن عظمة البشر ليست هي في بطشهم وثروتهم ومراتبهم الملكية بل هي في قدر منفعتهم الاجتماعية والعلمية

نلاحظ ذلك عليهِ لانهُ هو القائل « لم تنهض المانيا بمدافعها الضخمة وهمة امبراطورها المرهبة الامبراطور الذي تنخ الاعجاب في رأسهِ قبياً فوقف موقف المحارب لمعظم امم البشرية »

وما احرانا ان نقول لهُ مثل ذلك عن نابليون وفرنسا ونذكرهُ بان فرنسا لم تُعرف بنابليون بأم المدنية بل بالعلماء العاملين

هذا وانا في النهاية مناسبة قوله (في البحث عن خلق النوابغ المواضيع) «كما أوجد دنت سماءهُ وجهنمهُ ومطهرهُ وحشرها في عقول الملايين» تنتت نظرهُ الى أن دانتي (١٢٦٥ — ١٣٢١) اقتبس اسلوب منظومته (Divine Comédie) من رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي كما قال بذلك فريق من المؤرخين منهم مؤرخنا زيدان وليس المقام يتسع لايراد الادلة

فمنظومة دانتي اذاً لا تصح أن ترد مثالاً على خلق النوابغ المواضيع كما انهُ لا يصح ايراد كاترينا (٦٣ ق . م) الخارجة في مصاف النوابغ

***

تلك هي ملاحظاتي أنشرها تقديراً للكتاب ودلالة على اهتمامي بهِ وما هي الاَّ قداحة نحن في تعرضها الى اذكاء النور

بيروت محمد جميل بيهم

المشكلة اليابانية في اميركا (١)

بين الولايات المتحدة واليابان مشاكل عديدة اذ تحتك مصالح الاميركيين بمصالح اليابانيين في جزر الباسيفيكي وفي الصين وكوريا ومنشوريا وسيبيريا ولكن اهم المشاكل بينهما الآن مسألة اليابانيين في كاليفورنيا وهي موضوع بحثنا

لما اكتشفت اميركا وطريق الهند حول راس الرجاء الصالح في اواخر القرن الخامس عشر ارتاد الاوربيون في جملة ما ارتادوهُ شواطىء اليابان وقصدها تجارهم والمبشرون بالديانة المسيحية منهم فامتدّ النفوذ الاوربي فيها واعتنق كثير من اليابانيين الديانة المسيحية وبنت اليابان السفن التجارية قدوة بالاوربيين ومدّت تجارتها الى جاوى والهند ثم اتفذت وفداً الى انكلترة الاميركية في عصر الباسيفيكي زار المستعمرين الاسبانيين في بلاد المكسيك

وحوالي عودة هذا الوفد في النصف الاول من القرن السابع عشر قلبت اليابان سياستها اذ خشيت سوء المصير من امتداد النفوذ الاوربي وانتشار المسيحية

(١) خطبة القيت في الجمعية السورية الاميركية في لوس انجلس بكاليفورنيا في ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٠